

للمؤمنين وحدهم أو العرب وحدهم بل كانت دعوته انسانية الا اذا حدث عدوان على حدود الله أو عباده . امرهم باقامة العدل ولو كان على انفسهم ومنهم ان يظلموا بسبب شتان بينهم وبين غيرهم وقال لهم : « ولا يجرمنكم شتان قوم على الا تعدلوا ، اعدلوا هو اقرب للتقوى » . حضهم على طلب العلم لمعرفة آلاء الله و آياته وللاستفادة مما خلق لهم وحثهم على السعي لطلب الرزق وجعل الاجر على قدر المشقة وقال لهم : « وان لبس للانسان الا ما سعى ، وان سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الاولى » .

وقد منح الله العرب شرفا ان النبي الكريم منهم والقمران العظيم جاء بلغتهم وانه ذكرهم فيه كثيرا لعظمهم يعقلون قيمة هذا الشرف « انا انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم » . وفي هذا تخليد لامة العرب بان حفظ لها لغتها بحفظ القمران : « انا نحن نزلنا الذكر ، وانا له لحافظون » . وحفظ لها تاريخها ومجدها ان كان بناء الاسلام الاولون من العرب ومن صحابة وعشيرة رسول الله عليه الصلاة والسلام لا لانهم كذلك بل لانهم شعروا بالمسؤولية اكثر من غيرهم وتحملوها كاملة حتى ان ابا بكر حازب المرتدين لامتناعهم عن دفع الزكاة ولم يرض ان يستأهل في منع عناق كانوا يؤدونه الى رسول الله ولو نطقوا بالشهادتين وسير جيش اسامة لعرب الروم ولم يتردد في ارساله رغم حرج الموقف وصعوبة الظروف . وكانت الفتوح وكانت الانتصارات وعلت راية الاسلام برفعها ابناؤه البهائيل من العرب الاولين فرجع الله شأنهم واهلى منزلتهم وصار التقرب الى حكامهم قريبا من الله لانهم حملة رسالته وحماة دينه وكانوا سببا في ان يدخل الناس في دين الله اذواجا وهذه حقيقة تاريخية لا تعصب منصري او حجة لاقرار نظرية هرقية لم يدع اليها الاسلام ابدا .

حفظ الله اللغة العربية بالقرآن الكريم :

قرر اكثر علماء الاجتماع وكبار المفكرين في القضايا التاريخية والسياسية ان اللغة اهم عنصر من عناصر تكوين الامة فهي التي تنقل الافكار بايسر وسيلة الى ابنائها وهي التي تخط طريقة التفكير وتساعد على توحيد الآراء وتجانس الانطباعات وهي التي تعبر عن روح الافراد والجماعات .

ما كان من صنع ادوات الترحل والسفر وادوات الحرب والقتال وحتى هذه كانوا يستوردونها من البلاد المجاورة اذ كانوا يشاركون في رحلة الشتاء والصيف الى اليمن والشام ويقيمون الاسواق للمبادلة والتجارة في مكة وما حولها والمدينة وما جاورها وكان البيت المتيق الذي جعله الله للعرب مثابة وامنا فاطمهم من جوع وآمنهم من خوف اثر في تنظيم مكانة ام القرى . هذا المركز التجاري الهام لمكة المكرمة جعل من فيها من العرب من قريش واحلافها سادة الجزيرة وامراء الجيوش في الحروب واصحاب الحل والربط بين القبائل الاخرى واهل الفصاحة والبيان فكثرت فيهم الخطباء والشعراء وازدادت اسواقهم بالمناظرات والندوات الادبية الى جانب البحث في الشؤون الاجتماعية والسياسية التي تنظم حياتهم القبلية على نطاق محدود .

لم يند من بلاد العرب من جهالة المدينة المعاصرة لهم الا بعض اطراف الجزيرة في اليمن وما جاورها وبلاد الشام وارض الحيرة مما جعل هذه المناطق طعمة للغازين بسبب ازدهار الحياة فيها ولطافة الطبيعة نسبيا ووفرة الانهار والامطار فاقاموا السدود وبنوا المدن والحصون وزرعو الارض وصنعوا ما هم بحاجة الى صنعه والى بيعه في بعض الاحيان الى البلاد الاخرى . وكانت هذه المناطق

العامرة الخصبة مادة جذب للديانات الاخرى من وثنية معقدة كالمجوسية في شرق العراق واليهودية في اليمن والنصرانية في نجران وبلاد الشام وبعض انحاء العراق الشمالية فلما جاء الاسلام وجد العرب فيه ضالتهم والغوه منسجما مع بعض طباعهم اذ دعاهم الى حرية الفرد من تسلط الكبراء وحرية الكبراء وحرية الفكر من تفاهة الوثنية وتعميدات الشرك والى كرامة الانسان باتصاله مباشرة بالواحد الاحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد . علمهم الايام والشمم وامرهم برد العدوان على من امتدى عليهم والاستعداد لارهاب عدو الله وعدوهم . ومنهم من العدوان لان الله لا

يحب المعتدين ، وازال العصبية الجاهلية العمياء وجعل اكرمهم عند الله اتقاهم وساوى بين الناس من كل جنس وامرهم بالتعارف والتعايش السلمي وقال لهم : « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » . وكان خطابه للناس كافة وليس

وان حركات التحرير من السيطرة الاجنبية
بتيديه باحباب اللغة والتفني بأجمل ما أنتجه
شعراؤها وخطباؤها في نصائد وخطب ثم السير
على نهجهم وتقليدهم في الاسلوب والموضوع :

ما ارانا نقول الا مصاروا

او معادا من قولنا مكبرورا

وعندما تقوى الامة وتنتصر تنتشر لغتها لا
بالقوة بل بطبيعة ما تستوجه السلطة من وجود رجال
يحكمون ومشرهين يشرمون وقضاة يقيمون العدل
وتجار يتقربون من الحكام لرواج تجارتهم ورجال
صناعة وازدانة يحتاجون لحماية السلطة الحاكمة
لازدهار امالهم ، كل هذا يستوجب انتشار لغة
الحكام الجدد ناهيك من التسابق الى الدخول في
الدين الجديد رغبة في الخير او رهبة من الله وما
يتوجب على بقائهم في الشرك والكفر من عقابهم في
الدنيا والاخرة او على الاقل تقريبا من الحكام
ومشاركة في السلطة على اختلاف وجوهها .

بدهي ، كل هذا حدث للغة العربية عندما نقلها
الاسلام الى ارجاء الدنيا مع الفاتحين والى انكار
المفكرين لكثير من اهل الارض ولو بقوا على دين
ابائهم واجدادهم فاصبحت واسطة التفاهم بين
العديد من العلماء والفلاسفة كما هو الحال بالنسبة
للغات الحية الحديثة في العالم المعاصر . ومن اجل
فهم القردان الكريم وضع ابو الاسود الدؤلي في عهد
الامام على قواعد النحو وذلك عندما كثر اللحن في
الكلام وتداخلت اللغات الاعجمية من فارسية ورومية
في اللغة العربية بسبب الاختلاط بعد انتشار
الاسلام ، ومن اجل القردان الكريم وضمت علوم اللغة
من بلاغة وبيان وبديع وجمعت اوزان الشعر في
العروض وتقرب المختصون في تفسير القردان وجمع
الحديث الى الله بالتمق في فهم اللغة العربية
واسرارها وبيان اعجاز القردان وفصاحته ولولا
ذلك لتغيرت اللغة العربية وانقسمت الى لهجات
واصبحت لغات شتى كما حدث للغة اللاتينية التي
نشأت عنها الفرنسية والاطالية والاسبانية
والبرتغالية والرومانية وغيرها . فالاسلام الذي
اوجب الصلاة والدعاء والاذان باللغة العربية واوجب
تلوة القردان وفهمه ، حض المسلمين ان يسارصوا
الى فهم اللغة العربية ولو كان المسلم من غير
العرب .

اما العرب انفسهم الذين انتقلوا مع الدين
الجديد الى انحاء بعيدة في اسية والريقية واوربة
لقد نشروا لغتهم وكتبوا بها ووصفوا اسس حضارة
اسلامية عريقة واحتراما لدينهم لم يتهاونوا في لغتهم
ولم يفسدوها بالتحريف والرطانة بل بقوا محافظين
عليها متمسكين بها رغم المحن التي اصابتهم على مر
العصور ورغم تسلط الاعاجم من مسلمين وغيرهم
على بلادهم واكبر مثال على ذلك في التاريخ المعاصر
الثورة الجزائرية عام 1954 م التي انتهت الى النصر
المبين فقد كانت المارك الحربية تسير فيها جنبا الى
جنب مع معركة احياء اللغة العربية والتعريب
ولولا الاسلام لكانت اللغة العربية قد زالت بظفان
الفرنسية وجدير بالذكر فضل رجال الدين المخلصين
في بلاد المغرب العربي الذين تحصنوا بالمساجد
وعلموا القردان الكريم ونشروا اللغة العربية وفضل
جامعة القرويين في «فاس» وجامع الزيتونة في
«تونس» ومساجد الجزائر وجهار جمعية العلماء
فيها . وفي المشرق العربي كان حكم الماليك
والعثمانيين الطويل كفيلا باندثار اللغة العربية لولا
الاسلام والقردان ولولا النور الذي كان يشع من
المساجد والمآذن ويدعو الى الله باللغة العربية .

خلدت الحضارة الاسلامية اللغة العربية وجعلت
العروبة والاسلام صنوان تسمى بهاء واحد وقد كانت
العربية قبل الاسلام لغة الحضارة البدائية بسيطة
سهلة تتناول مستلزمات الحياة البدوية في البادية
من تنقل وتوحد ورعي للابل والغنم وركوب الخيل
وغزوات وحروب وفروسية وحض على القتال والثار
وتفاخر بالعصبة وتكاثر بالاموال والاولاد ومباهاة
بالكرم والمروءة والنجدة ومعرفة بالانساب واقتفاء
الامر وتطلع الى الانواء الجوية وتوقع لتقلباتها من
رياح ومطروح وثر واحاديث تروي في الليالي الطويلة في
الشتاء والليالي القمرية في بقية الفصول ، فلكل هذه
الدنيا البدوية لغة تعبر عنها وكان من ذلك ان كثرت
الترادفات لكثرة القبائل وتنوعت اللهجات بسبب
بعد المسافات والحياة المفلقة التي تعيشها كل
عشيرة على شكل وحدة متنقلة .

اما في الحواضر والمدن فكانت اللغة ارقى بسبب
تعقد الحياة بعض الشيء وما تستلزمه ظروف
الاستقرار من عمران وتنظيم للحياة الاقتصادية
والعلاقات الاجتماعية اذ كانت ادارة القبائل فيها
منظمة بعض الشيء فكانت الاحلاف وحقوق الجوار
وتنظيم مواسم الاسواق للتبادل التجاري والندوات

للمدارسة في الشؤون العامة ومطارحة الشعر والقائه الخطب وتقدير الرجال وتكريم الشعراء وتسلم الرئاسات وما الى ذلك مما جعل اللغة العربية تتقارب لهجاتها وتتوحد مفرداتها لتكون كلفسات مشتركة للحياة المشتركة وكانت لهجة قريش اوضح اللهجات ولما جاء الاسلام جعلها اللغة الرسمية وصارت لغة المسلمين في انحاء الجزيرة وتلاشت تدريجيا اللهجات العربية الاخرى .

وهكذا وحد الاسلام وسيلة التفكير وتقارب المفاهيم واساليب البحث والنقاش بل وظهرت كلمات جديدة كالصلاة والوضوء والزكاة او صار للكلمات القديمة مدلولات جديدة . ولما فرغ المسلمون من الفتح بعد العهد الاموي واتسع لهم الرزق واستقرت بهم الاحوال وانتظمت الدولة الاسلامية وصار لها دواوين وادارات وجيوش جرارة وقيادات وما يتبع ذلك من اعداد وتسلح وتكوين وتدريب وانضباط وتوجيه كما اصبحت للحياة الاقتصادية قيمتها الجديدة بعد اتساع نطاق الزراعة والصناعة والتجارة وتفرغ طرق المواصلات وزيادة وسائل النقل وبعد ان اصبحت البريد دوره في تنظيم المخابرات وتنفيذ الاوامر ومراقبة الحكام والموظفين كل هذا استوجب ان تتوسع اللغة العربية لتستوعب متطلبات هذه الحياة الجديدة ورغم انها استعانت باللغات الاخرى لدى المسلمين الجدد من الاماجم الا انها نظرا لرونتها وسهولة الاشتقاق فيها تطورت وظهرت فيها كلمات ومصطلحات جديدة اما مصرية او موضوعة مما اغناها ووسع افق التعبير بها .

وفي نفس الوقت اخذ عقل المسلمين يتفلسف في الدين فيثير خلافات دينية ويجهد في كبتها والتوليف بين مظاهرها بعد ان كانت عقيدة المسلمين في اول امرها بسيطة ساذجة لا تلبه لخلاف ولا تلتفت الى بحث وفلسفة وكاد ينقضي العصر الاول في ايمان لا جدل فيه ولما هذا الناس اخذوا ينظرون ويبحثون ويجمعون بين الاشياء ويقارنون بين المناقشات وبخاصة لما كثرت الترجمة ودخلت الفلسفة اليونانية وعرفت المذاهب المختلفة في الديانات الاخرى من يهودية ومسيحية وزرادشتية ومناوية وصائبة ودهرية عند ذلك اخذ العلماء المسلمون يتسلحون بالحجج الدامغة والبراهين القاطعة ليدافعوا عن دينهم امام اصحاب العقائد الاخرى او امام المتشككين من الدين لم يدخل الايمان في قلوبهم او من المنافقين الذين تظاهروا بالاسلام

ليكيدوا له . في هذه الفترات التي انطى فيها عقل المسلمين في مختلف مجالات العلوم والآداب والمعرفة ازدهرت اللغة العربية ايما ازدهار واصبحت لغة الحضارة الاسلامية وصارت لغة العلم والفلسفة والادارة والاقتصاد وانتقلت مع المسلمين الى انحاء بعيدة في الصين واندونيسيا وجزر « الواق واق » في المحيط الهادي - ويك - حاليا ، وباحتكاك المسلمين مع غيرهم بواسطة التجارة والقوافل انتشر الاسلام من غير حرب ولا فتوح كما في ماليزيا والفلبين واندونيسيا وغيرها وانتقلت اللغة العربية مع القرآن الكريم الى كل هذه الاصقاع وهي وان لم تصبح لغة الشعوب المسلمة صارت معروفة لديهم مقدسة عندهم ودخلت كثير من كلماتها في لغاتهم وصارت المصطلحات الدينية سائدة بينهم من سلام وتحية وحمد لله وشكوه ودعاء وتوسل واستغفار وصار التقى الصالح المقرب الى الله هو الذي يتكلم اللغة العربية ليفهم معاني القرآن وينشر تعاليمه بين مواطنيه واصبحت الحروف العربية حروف اللغات المحلية كالفارسية والاردية مما جعل القرابة اقوى بين هذه اللغات واللغة العربية . وهكذا حفلت مكتبات البلاد الاسلامية بالكتب العربية المخطوطة او المنسوخة في بخارى وسمرقند واهور وشيراز ونيسابور ودلهي وعليكرة رغم ان شعوب هذه البلاد غير عربية ولكن الاسلام وحضارته التي شارك فيها المسلمون كان سببا في جعل اللغة العربية لغة الحضارة في القرون الذهبية ومهدد الازدهار . حتى ان الافلاطونية والافلاطونية الحديثة والفلسفة الاغريقية بصورة عامة لم تصل مشروحة الى الغرب الا بواسطة العلماء العرب كابن رشد في المغرب والاندلس وابن سينا والفسارابي في المشرق وابن الطيلى وابن خلدون وغيرهم .

ليس هذا دليلا على ان الاسلام رفع شأن العربية والعرب في الحضارة العالمية لفترة طويلة من الزمن ؟ الا تدلنا آثار العرب في فرنسا واسبانيا وايطاليا وجزر البحر الابيض المتوسط على مدى ما وصل اليه العرب من حرة وفخار بفضل الاسلام ؟

حق الاسلام على كل عربي ان يفخر به :

وبعد ان المعنا في هذا الاستعراض الموجز الى ما كسبته اللغة العربية من القرآن الكريم والاسلام الحنيف ومن المسلمين الفطاحل من مفسرين

وبعد ان انتشر علماء المسلمين من عرب
وغيرهم فى بلاد الاسلام يعلمون الناس القرءان
ويفسرونه وينشرون تعاليمه . . صار ضروريا
على كل مسلم وحتميا ان يتعلم مبادئ اللغة العربية
ليزداد ايمانا وقربى الى الله .

بعد هذا كله الا يحق لكل عربي ان يفاخر
بالاسلام الذى نصر العربية وجعلها لغة الحضارة
والخلود ومكن العربي ان يتصل بكل مسلم فى انحاء
الارض بمجرد القاء تحية الاسلام واقراء السلام
وهل اكون مبالغا فى النهاية اذا قلت : ان المسلم
لا يحسن اسلامه اذا لم يحب العربية . . والعرب وان
العربي لا تصح مرويته اذا لم يفخر بالاسلام ولو كان
على غير هذا الدين .

ومحدثين ولغويين وعلماء كلام وفلاسفة عظام وعلماء
فى مختلف العلوم الكونية من طب وطبيعة وكيمياء
ورياضيات وفلك وجغرافية وتاريخ وعلم اجتماع .
وبعد ان اصبحت الحضارة الاسلامية عربية الشكل
والقالب حتى لم يعد المحقق يفرق بين التسمية هل هي
اسلامية صرف ام عربية صرف . . . فهي كلتاها
مما واصبحت امهات المؤلفات والكتب العلمية
والفلسفية والدينية لا تكتب الا بالعربية وما تزال
الى يومنا هذا شاهد عيان على ذلك فى معظم انحاء
العالم الاسلامي وفى كبريات المكتبات العالمية فى
الاسكوريال فى اسبانيا وفى باريس ولندن وبرلين
وموسكو واسطنبول مخطوطات ومجلدات لكتب
عربية اصيلة بعضها لم يشهد النور او لم تصل اليه
اممال المحققين والدارسين وذلك هذا ما فى المكتبات
الخاصة من ذخائر وكنوز .

العربية والإسلام بين الفسك والحقاظر

الدكتور توفيق برو

استاذ التاريخ فى كلية اللغات
(جامعة حلب)

أبضا طقوس العبادة : فلكي يصبح الانسان مسلما صحيحا كان عليه ان يدرس القرآن ويتعلم آياته الكريمة ومختلف الادمية وسواها من العبارات الدينية التى تقال اثناء الصلاة وكلها عربية .

ب- مما لا شك فيه ان هناك جهودا كثيرة قد بدلت من قبل خلفاء المسلمين وقوادهم وولاتهم وتجارهم ومبشرينهم فى سبيل نشر الاسلام مع اتخاذ الطرق الناجمة الكفيلة باقبال الاقوام غير العربية على اعتناقه . وقد تبع ذلك حركة استعراب بين هذه الاقوام . انما لم تكن حركة الاستعراب بما يتناسب مع قوة امتناق العقيدة الاسلامية وسعة انتشارها . ولم يكن من الضروري قط ان كل من يعتنق الاسلام يتكلم اللغة العربية بحيث يستعرب كليا او جزئيا بمعنى انه يتكلمها نوعا ما الى جانب لغته الاصلية .

الى هنا يظهر ان ثمة سببية بين الاسلام وانتشار اللغة العربية . غير ان ذلك ليس كافيا لاثبات انه لولا الاسلام لما تأتى للغة العربية ان تنتشر فى العالم وانه لو لم تكن اللغة العربية لغة القرآن لما انتشر الاسلام ، للاسباب التالية :

لا يستطيع الباحث ان يدلي براى جازم فى موضوع السببية بين الاسلام واللغة العربية ، بل يمكن ابداء ملاحظات منها ما هو فى جانب الفكرة او ضدها .

ومما هو فى جانبها :

ا - ان الاسلام - اثناء نشره ابان حركة الفتوح العربية فى مختلف العصور - كان وسيلة احتكاك ولا شك . كان للاسلام دوره التاريخي ، ذلك ان الرغبة فى نشره ، حتى يعم العالم ، كانت احد الاسباب فى دفع العرب الى حركة الفتوح . وهنا تبدو الملازمة بين نشر الاسلام وانتشار اللغة العربية ، لان المسلمين الذين اخذوا على عاتقهم عبء الفتوح عرب ، دينهم عربي وقرءانهم عربي ، ورجال دولتهم عرب ، والدولة التى كونوها عربية اسلامية ، وتسمن الوظائف كان يقتضى معرفة اللغة العربية ، مما دعا الشمسوب الاجنبية (الامجبية) التى انضوت تحت الراية العربية الاسلامية الى تعلم اللغة لعربية لكي يتاح لها الاسهام فى خدمة الدولة . واكثر من ذلك فان الحركة العلمية التى شجعها العرب واخذوا على عاتقهم تسميتها قد اضطلع بها - فى باديه الامر - اناس من اصل غير عربي اعتنقوا الاسلام وتعرّبوا . وهناك

د - وقد يكون النشاط التجاري الصرف من نشر لغة القائمين به ، مثال ذلك تغلب لغة الآراميين في سوريا على لغات بلاد الشام المجاورة لها بسبب نشاط تجارتهم حتى أصبحت اللغة الآرامية لغة عامة في المراسلات التجارية وغيرها في جميع الممالك المجاورة لمملكة الآراميين في التاريخ القديم .

وهناك امثلة من الواقع العربي تثبت ان انتشار الاسلام غير كاف لوحده لانتشار اللغة العربية من ذلك :

ا - من الواضح ان هروبة المغرب العربي لم تكتمل - اثر حركة الفتوح العربية الاسلامية ، بالرغم من اشتاق معظم اهله للاسلام طول اربعة قرون تقريبا - الا بعد هجرة قبيلتي بني سليم وبني هلال العربيين من المشرق العربي الى المغرب واستيطانهما ربوعه في القرن الحادي عشر الميلادي .

ب - ومع هذا لا تزال نشاهد في المغرب العربي هذه الظاهرة : ان العنصر البربري في شمالي افريقية العربية يكثر عدده كلما اتجهنا غربا من برقة الى مدينة مراكش وجنوبا من الساحل الى الصحراء - اي كلما ابتعدنا عن المراكز العربية - وان العنصر البربري في مراكش يبلغ قرابة ثلث السكان ، وهو يكثر عادة في الجبال ومناطق الصحراء وما يجاورها ، وهي المناطق البعيدة عن المحيط العربي الصرف ، ويقل تمييزه في المدن حيث امتزج بالسكان العرب امتزاجا تاما اقرب ما يكون الى الانصهار . فاللغة البربرية لا تزال حية ، اذ لا يزال هناك من يتكلمها لوحدها ومن يتكلمها الى جانب العربية ، وربما يكون هناك من البربر نسبة تتراوح بين 10 - 14 ٪ تتكلم البربرية والعربية معا ، ونسبة تتراوح بين 10 - 20 ٪ لا تتكلم سوى اللغة العربية (بناء على احصاء قديم وقد تكون النسبة اقل من ذلك الان)

كما اننا نشاهد في الجزائر جزرا بربرية ، الا ان افرادها مزدوجو اللغة حيث يتكلمون البربرية والعربية . والذي تجدر ملاحظته ان من يسكن منهم هربي الجزائر شديدو التعرب لسهولة المواصلات مع الاماكن التي يقطنها العرب . مما يستنتج منه ان زيادة الاحتكاك بين البربر والعرب هو العامل الحاسم في تعربهم مع انهم مسلمون منذ اكثر من ثلاثة عشر قرنا . واذا هدنا الى التاريخ نجد ان فرص

ا - انتشر الاسلام اثناء حركة الفتوح على اقطار كثيرة اصبحت الان خارج الحضيرة العربية : مثل الاندلس ، ايران ، افغانستان ، تركستان ، السند (الباكستان) . لكننا نشاهد الان انها اصبحت بعيدة عن العروبة لغة اللهم الا بقاء بعض التأثيرات اللغوية التي لا تزال نشاهدها في لغة سكانها الاصليين ، وذلك في نفس الوقت الذي بقيت فيه محافظة على اسلامها باستثناء الاندلس . والسؤال الذي يطرح في هذه المناسبة : لو ان الفتح العربي والوجود العربي بقيا مستمرين فيها لم يكن ممكنا ان تبقى هروبتها وطيدة ، وتصبح اللغة العربية لغتها الصميمة كما جرى بالنسبة للمغرب العربي ومصر وبلاد الشام والعراق ؟ - ليس من شك في ذلك اذن . الا نستطيع ان نستنتج من ذلك ان بقاء سلطان العرب بما يتبعه من حركات استيطان للقبائل العربية في هذه الربوع هو الكفيل بدوام هروبة هذه الاقطار ؟

ب - سؤال آخر : لو ان الاسلام لم يكن بين الحوافر الاخرى التي دفعت العرب الى حركة الفتوح ، او بتعبير آخر لو كان هناك حافر فكوي آخر غير الاسلام قد رافق الاسباب التي دعت اليها ، واستقر العرب بنتيجة ذلك في الاقطار السالفة الذكر المفتوحة وغيرها ، لم يكن من الممكن ان تبقى اللغة العربية هي لغة سكانها ؟ ان الامثلة الشبيهة بذلك متوفرة بالنسبة الى الممالك الاوربية كفرنسا التي فتحتها الافرنج فاصبحت الفرنجية اللغوية (اي فرنسية) ، وانجلترا التي فتحها الانكلوسكسون فاصبحت لغتها انجليزية ، وامريكا الشمالية التي استوطنها الانجليز اثر حركة توسع استعماري فاصبحت لغتها انكليزية ، مع ان الداعي الى فتح هذه الممالك لم يكن هو نشر الدين .

ج - وهناك امثلة كثيرة اخرى في التاريخ القديم والوسيط والحديث تثبت ان انتقال قبائل برمتها ، او جزء كبير من شعب ما ، من وطنه الى وطن آخر ، وتغلب نسبته البشرية على نسبة سكان البلاد المستوطنة ، يكون عاملا من عوامل طبع المنطقة المحتلة بلغة الشعب القادم ، لاسيما اذا كانت لغته تمتاز بالاصالة والحيوية والتفوق على لغة السكان الاصليين - كما هو شان اللغة العربية بالنسبة للغات المناطق التي احتلها العرب .

يقويان ويضعفان تبعا لما يعثري لغة الضاد من قوة وضعف او ان العكس بالعكس :

فاعتقادي - بحسب ملاحظاتي - ان ذلك فيسر وارد بتاتا ، ولا صلة سببية بين الوازع الديني ولغة الضاد .

ومن حيث المكانة التي يجب ان تحتلها اللغة العربية في بلدنا بالنسبة للغات الاجنبية ، فمما لا شك فيه ان المكانة الاولى يجب ان تحتلها اللغة العربية بالنسبة للغات الاجنبية . وان كان علينا ان نولي اهتماما باللغات الاجنبية فلجل الاستفادة من تعلمها في اقتباس العلم والتكنيك من الغرب اي دفع طلابنا ومثقفينا الى تعلمها واتقانها ليسهل عليهم متابعة دراساتهم العلمية في بلاد الغرب والاطلاع على المراجع والمؤلفات الاجنبية بكل سهولة ، حتى تتمكن من الاستفادة والافادة .

الاحتكاك بين هذين الشعبين كانت من الامور التي ساعدت على الاستمراب مثل اشتراكهم في الحملات كحملة طارق بن زياد على الاندلس وما تبعها من حملات، واستيطان العرب والبربر معا في الاندلس .

ونلاحظ الامر نفسه بالنسبة للاكراد في العراق وسورية ، حيث نجد ان سكان المدن منهم منصهرون مع المنصر العربي وتكاد لا تفرق واحدا من المنصرين عن الآخر كما هو الامر في دمشق ، بينما نرى ان سكان الجبال والقرى النائية الواقعة على الحدود التركية واليرانية لا يزالون متمسكين بلغتهم، ولا يعرف العربية الى جانبها سوى القلة المثقفة منهم مع انهم ايضا مسلمون .

* * *

اما من حيث ان الوعي الاسلامي والوازع الديني

الوعي الإسلامي يقوى

بانتشار اللغة العربية في الأقطار غير العربية

على مفتش اللغة العربية الأستاذين صنيح المحسب
ونديم عدي (سوريا)

تفضل خبيران من مركز البحوث السورية بالجواب الآتي عن استفتائنا
وهما الأستاذ حسي المحسب ونديم عدي المفتشان الاختصاصيان للغة
العربية :

انتشر فيها الاسلام واللغة العربية ثم تقلص نفوذها
مما حتى زال بسبب زوال الحكم العربي والاسلامي
ببلاد الاندلس . وهناك بلاد انتشرت فيها اللغة
العربية ولم ينتشر الاسلام انتشارا كاملا كلبان فهي
بلاد عربية اسلامية ومسيحية . وان لغات كثيرة قد
انتشرت في العالم من غير وساطة الدين بل بتأثير
النفوذ السياسي والاقتصادي والفكري كالفرنسية
والانجليزية والاسبانية والبرتغالية ، وحتى في هذه
الحالة فقد كان التبشير الديني عنصرا هاما من
عناصر انتشار هذه اللغات .

بعد هذه المقدمة يمكننا ان نقول :

1 - كان من الممكن ان تنتشر اللغة العربية وان
لم ينزل القرآن بها لو ان القوة العربية السياسية
والاقتصادية وصلت الى درجة من القوة بسط معها
نفوذها على الاقطار المجاورة وتحمل اليها لغتها
ونظرتها الى الحياة وهو انتشار يدوم ما دامت هذه
القوة . ولما كان الدين اكثر ثباتا من القوة السياسية
والاقتصادية فان اثره في بقاء اللغة العربية او في
بقاء آثارها ادوم والبت . ان الذين ينقلون دينهم او
لغتهم الى الامم الاخرى يكونون اكثر نجاحا اذا كانوا
اكثر عدلا ودرما واخلاقا ورفقا .

ان دراسة تاريخ الادبان وكيف انتشرت تدل على
ان عددا كبيرا منها - ان لم نقل كلها - قد جاوز المكان
الذي ظهر فيه ، وان اللغة هي العامل الاساسي في
انتشارها . ان الادبان افكار وتصورات عن الكون
ومبدهه ومثل عليا اخلاقية وعبادات وانظمة اجتماعية،
وهذه لا تنتشر الا بواسطة اللغة .

والاسلام قد انتشر عن طريق اللغة العربية اذ
حمله العرب نحو البلاد المفتوحة . وساعدت اللغات
المحلية على فهمه وايضاحه للسكان الذين لم يتعلموا
العربية او لم يتقنوها . وقد تعلم كثيرون من ابناء
البلاد غير العربية لغة الدين الجديد ليفهموه وليكونوا
اكثر انسجاما مع الدولة العربية الاسلامية . وهناك
بلاد انتشر فيها الاسلام ولم تصبح العربية لغة للسكان
المحليين كاندونيسيا ، بل أصبحت العربية لغة
العبادة فقط ولما بلاد انتشر فيها الاسلام كما
انتشرت العربية انتشارا محدودا ، فلما تقلص نفوذ
الدولة العربية منها ضعفت اللغة العربية فيها حتى
زالت او كادت مع بقاء الفاظ كثيرة من العربية
شاهدة على تأثيرها في لغة السكان المحليين كإيران
والمغناستان واواسط آسيا وتركيا . وهناك بلاد

ولفاتهم المحلية . ولكنه لا يحولهم الى اللغة العربية الا اذا وافقت الدين الاسلامي هجرة عربية كبيرة تجعل اللغة العربية مهيمنة ثقافيا وعدديا ويكون الدين مشبها لهذه السيطرة .

7 - ان سوريا كانت فيها لغات قديمة قبل العربية ومعهما . ودخلتها لغات بعد العربية وتأثيرها في العامية واضح كما ان لها تأثيرا في أسماء الامكنة والبقاع والمهن كالسريانية والتركية والفرنسية ، بل ربما وجدنا في عاميتنا الفاظا فارسية وكردية وهي لا تشبه الطابع العربي الغالب . وان الفرنسية وغيرها من اللغات الراقية تؤثر في اسلوب الفصحى عن طريق الترجمة ودخول الالفاظ الحضارية تعريبا او ترجمة .

8 - ان سوريا لا تسود فيها الا العربية فصحي وعامية الى جانب لغات تتكلمها اقلية محدودة كالشركسية والكردية والسريانية والتركية والاشورية والارمنية وان العربية لصحي وعامية تؤثر في هذه الاقلية فيتعلمونها وكثيرون منهم ينسبون لغتهم الاصلية ويعود ذلك الى المدارس الرسمية واشرف الدولة على التعليم والى التمازج السكاني.

9 - ان نشر العربية في البلاد غير العربية يسهل اذا كانت هذه البلاد تدين بالدين الاسلامي او تكتب باحرف عربية او كانت لغتها بدائية محلية .

2 - وكان من الممكن ان ينتشر الاسلام ولو انه نزل بلغة اخرى غير العربية على غرار ما حصل في الاديان الاخرى لما له من قوة ذاتية تنطلق بالبداية والقيم والمثل .

3 - لقد انتشرت العربية قبل الاسلام فجاوزت الجزيرة العربية الى سوريا والعراق بسبب انتشار السكان ونمو النفوذ السياسي للمغرب في هذين القطرين الى جانب النفوذ الفارسي والبيزنطي .

4 - ان قوة اللغة العربية في بلد عربي عامل على قوة فهم الاسلام ولكنها لا تستدعي بالضرورة قوة الوازع الديني لان هذه القوة اللغوية العربية قد تكون من تأثير الدوافع الوطنية والقومية .

وان ضعف الوازع الديني والوحي الاسلامي لا يحول دون قوة اللغة العربية في البلد العربي .

5 - ان البلاد الاسلامية غير العربية يقوى عندها الوعي الاصلاحى والوازع الديني بانتشار ثقافتها العربية لان دراستها للغة العربية ناتجة عن اسباب دينية لا عن اسباب وطنية وقومية ولان فهم ابنائها للاسلام بلغته الاصلية اقوى من فهمهم اياه بلغتهم المحلية .

6 - ان تأثير الاسلام عن طريق لغة القرآن قوي في البلاد غير العربية . وهو يؤثر في لهجات السكان

القرآن مضموناً ولغةً عاملاً جوهرى في وحدة الفكر بين العرب والمسلمين ... ولكن تعلم اللغات لا يزال الجسر الوحيد إلى العلم والمعرفة

الأستاذ خليل المندوبى

حلب (سوريا)

ومن هنا يأتي دور حماية اللغة العربية من
الاندثار ، كما اندثر الكثير من اخواتها الساميات فى
سالف العصور .

ومثلاً على ذلك ، فى حالة مد الإسلام حمل معه
اللغة العربية الى الاقطار المفتوحة ، ونشرها واذاعها
حتى اصبحت اللغة الاولى فيها . وليس التأثير
الفارسي بها عتاً ببعيد ، فبلاد «فارس» بلاد بعيدة
كل البعد عن أن تكون قطراً من اقطار العرب ، ولكن
الإسلام ادناها من العرب ، وكان من الفرس ادباء
وعلماء وشعراء لا يقلون منزلة عن الادباء والعلماء
والشعراء فى العرب ، وذلك لان الإسلام الفهم
وجمعهم على حب البيان العربي ، لانه بيان القران .

والفتح العربي - فى حالة جزره - حين انحصر
من تلك الاقطار ابقى القران فيها علامة واضحة ،
وان لم يبق فيها كلفة متميزة .

وفى حالة استيلاء العثمانيين على الوطن العربي،
لم ينقل اللغة العربية من الاندثار الى القران . لان
العثمانيين كانوا مسلمين ، والمسلم لا يستطيع ان
يناهض القران ، ما دام هو لغة دينه ! ولو ان الاحتلال
كان اجنبياً ، دينه غير دين الإسلام لكان ، هناك ،
كارثة زعمت اللغة العربية ، ولعل فى قوله تعالى
ابلق معجزة : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له
لحافظون » .

وما دام الامر كذلك بالنسبة الى الامم فانه
سيكون اشد وقعا بالنسبة الى الاقطار العربية التى
تتكلم اللغة العربية ، فهذه الاقطار - برغم وقوعها

لم يعرف دين من الاديان ذلك التلازم او
الارتباط مع دين اللغة التى نزل فيها ، او عبر بها من
المراضه ، كالاسلام .

وهو امر لا يحتاج الى المناقشة ، مادام القران
الذى هو عمدة الإسلام ، يجعل بيانه احدى معجزاته .
وهو الذى تحدى العرب ، وهم فى اوج فصاحتهم
المعبودة ، ان ياتوا بمثله ، او بسورة من سوره !

والبيان القرآني تفنن فى تفهمه ، وتوضيحه ،
وتعليقه اقطاب البلاغة فى كل عصر ، وضربوا حوله
دراسات متنوعة ، وآخروهم عبد الرحمان الرافعي
- وهو من هو فى عالم البيان - فى كتابه « تاريخ
آداب العرب » اذ خصص جزءاً كاملاً من اجزائه الثلاثة
فى دراسة بيان القرآن »

ولما انتشر الإسلام فى ارض العرب وغير
العرب ، كان القران مصاحباً لهذا الانتشار ، لان
الإسلام ، من شعائره الاساسية ترديد آيات من القران
فى كل صلاة ، والرجوع الى القران فى بيان الاحكام
والعبادات . فهو دستور كل مسلم - هربياً كان او
اعجبياً -

ولذلك كان على كل من اتخذ الإسلام ديناً ان
يرجع الى القران وان يردد بعض آياته فى صلواته ،
وان لم يفهما ، وان يتفهم آيات منه للاطلاع على
حقيقة الإسلام .

الإسلام نفسه مظهر من مظاهر اللغة العربية ،
كما ان اللغة العربية وعاء من اوعية الإسلام ، فهما
متلازمان لا ينفصلان .

المصدر الذي انفصلت عنه . والشاهد على ذلك هذه الصحف والمجلات والإذاعات التي لا تحيد عن الفصحى . . ولن يكون ذلك اليوم الذي تتوحد فيه بعميد !

أما بالنسبة إلى اللهجة الإقليمية عندنا - في سورية - فهي من اللهجات التي يقل فيها البعد عن جوهر اللغة الأصلية باعتبار موقعها الوسيط بين الأقطار العربية . وما دخلها من حوشي الألفاظ ، والتواء التعابير إنما يضود إلى المهود المألوفة التي امتزجت فيها الأجنبية بالعربية ، نتيجة لضياع حريتها ، وإن لم تضع شخصيتها !

والآن، كيف يمكن أن نحدد المكانة التي يجب أن تحتلها العربية بالنسبة للغات الأجنبية ؟

لا تعصب إذا قلنا « العربية أولا ، ثم اللغات الأجنبية ثانياً » .

وإذا قدر لاسلافنا أن يطلعوا اطلاعاً ضيقاً على تراث الثقافات الأجنبية في عهودهم بواسطة الترجمة والنقل ، فإن تبدل الحياة وتطور العالم ، وتقدم العلم الذي لا وطن له يدمونا إلى عدم الاكتفاء بالعربية وحدها، ولنا أسوة في غيرنا الذين يتقنون على الأقل لغة أجنبية بجانب لغتهم ، وهم أقل حاجة إليها منا .

بينما نحن نحتاج إلى اللغات الأجنبية ، وسنظل نحتاج إليها زمناً طويلاً ، لأنها الآن تحمل عنوان الثقافة ، ولا تزال هي الجسر الوحيد إلى المعرفة ، وتطور العصر .

والذين يقولون بالاكتفاء باللغة العربية لأي سبب كان إنما يدموننا إلى عزلة ثقافية عن العالم . والعزلة الثقافية في حياة شعب إنما هي دمه عن ركب الحضارة ، حتى يفتت ، وبذوب كيانه ، ويتلاشى في مهبط الثقافات .

إننا لا نزال في دور التكوين : ودور التكوين يتميز بالاعتباس . ونحن سنجد أنفسنا وباتي دورنا في المشاركة في الإبداع الحضاري ، تمود لغتنا إلى احتلال المكانة المرموقة بين لغات العالم . واللغة والثقافة اليوم هما توأمان لا ينفصلان .

تحت الحكم فير العربي - بقي وميها الإسلامي ، ووازعها الديني يربطانها باللغة العربية . وكثيراً ما تقلصت اللغة العربية في بعض المجالات ، كالدواوين والمدارس التي جعلت اللغة التركية اللغة الأولى، إلا أنها ثبتت كلفة للتعبير ، وظل القراءان النغمة (أو القرار) الذي يتردد كل يوم في الجوامع والبيوت ، وفي كل مكان ، مما جعل العرب يرتبطون بلغتهم ارتباطاً دينياً مقدساً .

وغداة الوهي القومي الذي انتشر ، وذبوع التعليم عادت اللغة العربية إلى وجودها المستقل وشخصيتها المتميزة .

أما مدى تأثير الفكر الإسلامي ، من طريق لغة القراءان ، في الأقطار الإسلامية غير العربية ، فهو ظاهر في صلب هذه اللغات نفسها، وفي شكل حروفها التي لا تختلف من الحروف العربية . حتى دخل في فنونها، ورسم خطوطها، فقبل « الخط الفارسي » ، والخط العثماني أو الخط الرقعي ، كما قبل الخط الكوفي ، وقد تجردت اللغة التركية على الحرف العربي لعوامل سياسية .

أوليس ، بعد ذلك ، من معجزة اللغة العربية أن الجاليات الإسلامية ، في الأقطار الغربية، أو الآسيوية، أو الأفريقية أبقّت نفس اللغة ؟ وقد تختلف اللهجات الدارجة ، ولكن لا يختلف سواء التعبير الفصيح ، لأن القراءان هو الذي جمعها على وحدة التعبير ، والكتابة بالفصحى التي هي لغة القراءان ؟

وما ذلك إلا لأن القراءان يوحد بينها ، ويجمع بينها . فالشاعر العربي - في كل قطر - يتخذ لنفسه الشكل العربي التقليدي نفسه ، والكاتب يكتب لكل من يقرأ العربية بلغة القراءان نفسها .

أما بقية اللهجات واللغات الإقليمية فأمر انتشارها يمود إلى زمان انقطعت فيه أواصر الاجتماع، وجفت موارد اللغة ، وفشت الأعجمية : حتى بات لكل قطر لهجة ، ولكل ثوب رقعة ! وقد تتقارب هذه اللهجات ، وقد تتباعد عن الأصل بحسب مواضعها ومواقعها من الكلام .

ولكن هذه اللهجات صائرة حتماً إلى أن تنصهر وتتهلّب وتنقى بفضل التلم والوحي ، حتى تعود إلى

اللغة العربية وأثر القراءات في تطورها

الأستاذ الفاروق في كرجالي

عميد كلية اللغة العربية
(جامعة الترويين)

المستوى الثقافي والحضاري للامة - وتتطور اما الى الحياة واما الى الممات ، واما الى ما بينهما - والبحث عن حياتها او موتها او فتورها كالبحت عن عوارض الكائنات كلها - يرجع الى الكشف عن مقوماتها ، وطوارنها ، ومدى استمدادها لما يطلب منها .

ثم ان عناصر حياة اللغة تتكون من عدة اصول :

- 1) الاشتقاق والقياس .
- 2) وقابلية التطور وصلاحيه الاداء .
- 3) ومرونة الاسلوب وحلاوة المنطق .
- 4) ووفرة المادة ونماء الثروة .
- 5) ونصاحة اللفظ وبلغة الكلام .

اما الاصل الاول فهو في اللغة العربية اجلى مظاهرها ، وسر من اسرار تفوقها وبه كانت احق واجدر بالحياة والبقاء لباب الاشتقاق والقياس واسع في هذه اللغة لا يضيق مهما اتسع مجال العقل وخياله ومثال لذلك المصدر والصفة فلهما في اللغة العربية العدد العديد من الصيغ والابنية واذا لاحظنا ذلك في

قرر علماء اللغة والاجتماع قديما وحديثا - ان القصد من وجود اللغة هو التعبير عما يختلج في الضمير من المعاني والاهراض - وان اقرب طريق وايسر وسيلة الى ذلك هو الالفاظ والاصوات التي لا تكاد تتفاوت في الوصول الى هذه الغاية وان كانت تختلف في افعالها حقها اختلافا كثيرا - وان الوضع اللغوي كان من لطف الله بعباده ليتسنى لهم التفاهم والتعاون لان الانسان لا يمكنه ان يستقل بحياته ولا ان يعيش بانفراده كما ان ذلك اوفق لغرض الدال اذا كان لا يريد اطلاق غير المخاطب على مدلولها ، حيث انها توجد عند الحاجة وتنقضي بانتقضائها - وان معاني الحياة اكثر من ان يعبر عنها فلكل لفظ معنى وليس لكل معنى لفظ .

واللغة العربية من بين اخواتها اللغات السامية حباها الله عذوبة اللفظ وجمال الاسلوب وغازاة المادة وامدها بقوة الدفاع عن حياتها واستقلالها لما تتوفر عليه من عوامل التطور وعناصر البقاء ، وهي ككائن من الكائنات الحية ، وكمنظهر من مظاهر السلوك ، وكظاهرة من ظواهر النشاط تخضع الى سنة التطور وعوامل الزمان والمكان فتتأثر بذلك على حسب

الافعال ومزيداتها تصاعدت الصور القياسية الى حد لا نظير له في اللغات الاخرى فالقياس والاشتقاق يجعلان اللغة العربية فنية ثرية ، ويفتحان الباب على مصراحيه امام الكتاب والشعراء لتسجيل افكارهم وابراز مواهبهم واذا تجلت قيمة هذا الاصل الى هذا الحد لم يبق شك في فضل براعتها ونمو حركتها، واما الاصل الثاني وهو قبول اللغة للتطور وصلاحيتهما للاداء فهو في اللغة العربية بمكان لا يستطيع انكاره .

كانت تستعمل في اقراض بسيطة مثل التخاطب والعواطف ، والشارات والمواقف وشبه ذلك مما يتناسب وحياة البداوة وقامت بما طلب منها في هذا الشأن خير قيام وبعد ما خفقت راية الاسلام ولبت حاجته اصبحت اللغة لغة دين وحكم وقصص وسياسة واساليب واحتجاجات فوسعت لغة العرب كل ذلك ولم تضق به ذرما كما قال شاعر النيل حافظ ابراهيم رحمه الله في تمجيدها على لسان حالها :

وسعت كتاب الله لفظا وغاية

وما ضقت عن ابي به وعظات

كيف اضيق اليوم من وصف الالة

وتنسيق اسماء لمخترعات

انا البحر في احشائه الدر كامن

فهل سالوا الغواص من مدفاتي

ثم استعملت في اقراض جديدة اقتضاها الانفاس في الترف والامعان في الحضارة كوصف القصور وما بها من الاثاث والرياش والعمران، وكنتع البساتين وما بها من الاشجار والازهار والالوان الى غير ذلك مما يلائم انظمة الملك واساليب الحضارة التي استدهاها التقدم الفكري والاجتماعي ، ثم كانت لغة علم وادب وتاليف وترجمة فلم يضق صدرها ولم يقصر لسانها عما طلب منها في مصطلحات الطب والصيدلة ، والحكمة والفلسفة ، والفلك والهيئة ، والعلوم الطبيعية والرياضية ، واما الثالث وهو مرونة الاسلوب اي قبولها للابتكار والتجديد في صوغ المعاني وتقلبات اوضاعها فلها فيه الحظ الاوفر والمقام الاول اذ كانت اللغة في عهدنا الاول عادية وبسيطة بسيطة معانيها لا تكاد تخرج عن الحقيقة فيرسل المتكلم كلامه على حسب مقتضى الحال بدون تكلف ولا تعمل لا في الفاظها ولا في معانيها فاذا هي في صدر

الاسلام وما بعده من العصور تتراعى في لباس انيق وفي صور زاهية تترقى في البلاغة وتنوع في المجاز والتشبيه مما زادها حلاوة في النفس ولذادة في الطبع - وذلك شيء ظاهر في اساليب الخطباء والشعراء والكتاب الاسلاميين الذين انفسح المجال امامهم ، بما هيأته لغة التنزيل من افاق جديدة في اللغة وفي المعرفة - ولا يغيب عن الاذهان ان للقرءان العظيم اثرا قويا وثيرا سريعا في نشر اللغة العربية ورفع مقامها وتوفية كلماتها اذ جاء بما لا عهد للعرب به من كلمات كالساعة والسكينة مثلا فان العرب كانت لا تعرف من الساعة سوى الحصة من الزمان ولا تعرف الساعة بمعنى القيامة كما انها لا تعرف السكينة بمعنى الوفاة والطمأنينة ، ويقول ابن فارس في فقه اللغة ان العرب « كانت في جاهليتها على ارض من ارض اباانهم في لغاتهم وادابهم ونسائلهم وقرابينهم فلما جاء الله تعالى بالاسلام حالت احوال ونسخت ديانات ، وابطلت امور ونقلت الفاظ من مواضع الى مواضع اخرى بزيادات زيدت وشرائع شرعت وشرائط شرطت فكان مما جاء في الاسلام ذكر المومن والمسلم والكافر والمنافق ، والعرب اما عرفت المومن من الايمان والايمان هو التصديق ثم زادت الشريعة شرائط واوصافا بهما سمي المومن بالاطلاق مومنا وكذلك الاسلام والمسلم انما عرفت منه اسلام الشيء ثم جاء في الشرع من اوصافه ما جاء وكذلك كانت لا تعرف من الكفر الا الفطراء والستر . فاما المنافق فاسم جاء به الاسلام لقوم ابطنوا خلاف ما اظهروا وكان الاصل من نفاقه اليربوع - ولم يعرفوا في الفسق الا قولهم فسقت الرطبة اذا خرجت من قشرها وجاء الشرع بان الفسق الانحاش في الخروج من طاعة الله - وكذلك الصيام اصله عندهم الامسالة ثم زادت الشريعة النية وحظرت الاكل والمباشرة وغيرهما من شرائع الصوم وكذلك الحج لم يكن فيه عندهم الا القصد ثم زادت الشريعة ما زادته من شرائط الحج وشماله وكذلك الصيام لم يكن فيه عندهم الا القصد ثم زادت الشريعة ما زادته من شرائط الحج وشماله وكذلك الزكاة لم تكن العرب تعرفها الا من ناحية النماء وزاد الشرع فيها ما زاده وعلى هذا سائر ابواب الفقه فالوجه في هذا اذا سئل الانسان منه ان يقول فيه انسان لغوي وشرفي ويذكر ما كانت العرب تعرفه ثم ما جاء الاسلام به وكذلك سائر العليوم كالنحو